

مفهوم الفلسفة الإسلامية وخصائصها

الدرس
1

أهداف الدرس

1. أن أتعرف مفهوم الفلسفة ومدلولها؛
2. أن أثبت سمات الفلسفة الإسلامية وخصائصها.
3. أن أتمثل مزايا الفلسفة الإسلامية في تربية ملكة فهمي وتأملتي.

تمهيد

نشأت الفلسفة في بيئة تعج بكثرة الملل والنحل، وتعدّد المشارب والأفكار والأنظار في سياق جدلية العقل والنقل، وحظيت بمزايا وخصائص موضوعاً ومنهجاً وغاية، أفضت إلى توسيع دائرة الفهم، وتجديد النظر، وإنضاج الفكر، وإثمار الوعي.

فما مفهوم الفلسفة الإسلامية؟ وما سماتها وخصائصها؟

نص الانطلاق

1. قال أبو يوسف الكندي: «إن أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة التي حدّثها علم الأشياء بحقائقها، بقدر طاقة الانسان؛ لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق، وفي عمله العمل بالحق... وأشرف الفلسفة وأعلاها مرتبة الفلسفة الأولى؛ أعني علم الحق الأول الذي هو علة كل حق، ولذلك يجب أن يكون الفيلسوف التام الأشرف هو المرء المحيط بهذا العلم الأشرف؛ لأن علم العلة أشرف من علم المعلول؛ لأننا إنما نعلم كل واحد من المعلومات علماً تاماً إذا نحن أحطنا بعلم علته». [رسائل الكندي 150/1-151]

2. قال أبو نصر الفارابي: «لما كان الجميل صنفين: صنف هو علم فقط، وصنف هو علم وعمل، صارت صناعة الفلسفة صنفين: صنف به تحصل الموجودات التي ليس للإنسان فعلها، وهذه تسمى الفلسفة النظرية، والثاني به تحصل معرفة الأشياء التي من شأنها أن تفعل... وهذه تسمى الفلسفة العملية...» [التنبيه على سبيل السعادة، ص 96].

الفهم

الشرح:

- **حدها:** الحد عند المنطقة: تعريف الشيء بجنسه وفصله، وعند الأصوليين الجامع المانع؛ أي الجامع لأفراد المحدود، المانع من دخول أفراد أخرى ليست منه.
- **إصابة الحق:** الوصول إليه.
- **علم العلة:** ما يحتاج إليه الشيء في ماهيته أو صورته.
- **الفلسفة الأولى:** علم العلة الأولى، أو العلم الإلهي.

التحليل

نتناول هذا الدرس من خلال المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: مفهوم الفلسفة الإسلامية

تعددت تعريفات الفلسفة باعتبار مجالها والغاية من دراستها، وقد عرفها الفلاسفة المسلمون بوصفها بحثاً في أصل المعرفة وأسرارها قصد الوصول إلى حقائق الأشياء وماهياتها، ونظراً وتفكيراً في المصنوعات الدالة على صانعها الواحد الأحد، فأبو إسحاق الكندي حدها بأنها: «علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان»؛ لأن كل شيء له حقيقة، وإن معرفة الحق كمال الإنسان وتمامه، فغرض الفيلسوف البحث عن الحق والعمل بالحق، يقول الكندي: «لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق، وفي عمله العمل بالحق»، فالفلسفة نظر في الموجودات من جهة دلالتها على الخالق الباري جل وعلا، يقول ابن رشد الحفيد: «فعل الفلسفة ليس شيئاً أكثر من النظر في الموجودات، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات».

[فصل المقال، ص 32]

ويحدد الكندي مجال الفلسفة الإسلامية وما يشمله «علم الأشياء بحقائقها» فيقول: «ويدخل في علم الأشياء بحقائقها علم الربوبية، وعلم الوجدانية، وعلم الفضيلة، وجملة كل علم نافع، والسبيل إليه، والبعد عن كل ضار والاحتراس منه، واقتناء هذا جميعا هو الذي جاءت به الرسل الصادقة عن الله جل ثناؤه، فإن الرسل الصادقة صلوات الله عليها إنما أتت بالإقرار بربوبية الله وحده، وبلزوم الفضائل المرتضاة عنده، وترك الرذائل المضادة للفضائل في ذواتها». [رسائل الكندي 104/1] وذلك تخلقا بالقيم الوازنة، التي تنأى عن مغبة التيه، والضلال، والانحدار، والزيغ، والضياح. والانزلاق.

ولفظ الفلسفة مرادف للحكمة التي هي التعقل، والإحكام، وإصابة الحق، قال الله تعالى: ﴿يُوتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة 268] قال الإمام الرازي: «اعلم أنه تبارك وتعالى لما ذكر في الآية المتقدمة أن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء، وأن الرحمن يعد بالمغفرة والفضل، نبه على أن الأمر الذي لأجله وجب ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان هو أن وعد الرحمن تُرَجِّحه الحكمة والعقل، ووعد الشيطان تُرَجِّحه الشهوة والنفس من حيث إنهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة، واتباع أحكام الخيال والوهم، ولا شك أن حكم الحكمة والعقل هو الحكم الصادق المبرأ عن الزيغ والخلل، وحكم الشهوة والنفس يوقع الإنسان في البلاء، فكان حكم الحكمة والعقل أولى بالقبول». [مفاتيح الغيب 57/7]

فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، والفلسفة تستدعي المساءلة والحوار والحجاج، وتسهم في تربية ملكة التأمل والنظر والاستبصار، غايتها تطوير المعارف، وتجديد الأنظار، وتوسيع دائرة الأفهام، وتقوية عرى الأنساق الفكرية، والدفع بالإنسانية المتبحرة في العلم صوب مطالع الرشد، ومسالك النضج؛ حيث الإيمان الصادق، والعلم النافع، وفضائل القيم الناهضة.

المسألة الثانية: خصائص وسمات الفلسفة الإسلامية

للفلسفة الإسلامية خصائص مميزة لها، وسمات تفردت بها، نذكر منها:

1- **استمداد أصولها وقواعدها وحقائقها** من أصول الإسلام ومصادره، تهتدي بهديه، وتسترشد بتوجيهاته، وتجعل أسمى غاياتها معرفة الصانع جل وعلا، رغم تفاعلها مع مختلف أنواع الثقافات والمعارف الإنسانية؛ فالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والاجتهاد المنضبط، مصادر رئيسة عاصمة للفلسفة الإسلامية من الزلل والانحراف، صائنة للفيلسوف المسلم من الاستلاب والذوبان في الفلسفات الغربية الدخيلة على الفكر الإسلامي منهجا ومضمونا؛



فالقرآن الكريم حرر العقل من دنس الزيغ والأوهام ، وأمره بالتأمل والنظر في ملكوت السماوات والأرض ، ودعاه إلى اعتماد الحجة والبرهان في الاستدلال كما في قوله تعالى: ﴿فَلْقَاهُمَا فِي بَرْقَانِكُمْ ۖ إِنَّكُنَّكُمْ صٰلِدٰفِيٍّ﴾ . [البقرة: 111]

2- ارتباطها بالدين ، وتعلقها بمصادره ، وتوفيقيها بين العقل والنقل - العقل المسدّد ، والشرع القائد-؛ أي العقل المدرك الفاهم المتبصر ، والمتدبر المعتبر المجتهد ، الذي يعطي الكلمة حقها في التقدير والاعتبار ، والعلم مشروعيته في الإنجاز والتطبيق ، والمنهج وظيفته ومزيته في البناء والتأسيس ، والدين قيمته وفضله في المسؤولية والجزاء . يقول الإمام الغزالي: «اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع ، والشرع لم يتبين إلا بالعقل؛ فالعقل كالأس ، والشرع كالبناء ، ولن يغني أس ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس ، وأيضاً فالعقل كالبصر ، والشرع كالشعاع ، ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر» . [معارج القدس ، ص 57]

3- ارتباطها بالعمل؛ فالفلسفة الإسلامية ليست معرفة من أجل المعرفة ، بل معرفة من أجل العمل بها ، يقول الفارابي: «... والثاني به تحصل معرفة الأشياء التي من شأنها أن تفعل... وهذه تسمى الفلسفة العملية»؛ لذلك ارتبط بحثها بالإنشائية والطبيعية والفضيلة ، يقول الكندي: «لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق ، وفي عمله العمل بالحق» ، فالعلم والعمل صنوان لا يفرقان .

4- الشمول والسعة والرحابة والكلية؛ فللفلسفة الإسلامية في منظومتها المتكاملة اهتمام بالحقائق الكبرى للكون والحياة ، والخالق والمخلوق ، وبدراسة العالم في كليته لا في جزئياته ، وكذا نظرتها الواسعة الشاملة لكافة معضلات الكون والحياة ، ولسعادة الإنسان في عاجله وآجله .

5- غايتها الكشف عن حقائق الوجود ، وفهم حقائق الكون والحياة ، بقدر ما تسمح به الطاقة البشرية ، والكشف عن حقيقة الألوهية وارتباط المخلوقات بها ، وتحقيق العبودية الخالصة لله ، ومعرفة صفاته وأسمائه ، ومعرفة أفعاله ومخلوقاته ، ومعرفة الإنسان نفسه ، وتقوية العقيدة في وجدانه ، وإذكاء جذوة الايمان في قلبه ، يقول الكندي: «ويدخل في علم الأشياء بحقائقها علم الربوبية ، وعلم الوجدانية ، وعلم الفضيلة ، وجملة كل علم نافع ، والسبيل إليه» .

6- الفلسفة الإسلامية فلسفة إنسانية قيمية ، تسمو بالإنسان عن درك التقليد المعيب إلى أفق استبصار رشيد ، يروم بيان الحق ، ويتوخى سبيل الرشد؛ فقد عاب القرآن الكريم على المشركين تعطيل أدوات الاستدلال على وجود الله تعالى وصدق كتابه فقال: ﴿وَإِنِ أَفِيلَ لِنَعْمٍ إِنِّتَبَعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَالْوَابِلُ تَتَّبِعْ مَا الْبَقِينَا عَلَيْهِمْ أَبَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ . [البقرة 170]

التقويم

1. أبين مفهوم الفلسفة الإسلامية وموضوعها؛
2. أوضح الغاية التي تروم الفلسفة الإسلامية تحقيقها؛
3. أبرز خصائص الفلسفة الإسلامية وسماتها.

الاستثمار

يقول ابن رشد: «الحكمة هي صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة... وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجواهر والغريزة». [فصل المقال، ص 67].

أتأمل هذا القول، وأستخلص منه طبيعة العلاقة بين الفلسفة والشريعة، وكيف يمكن الاستفادة من الشريعة في تسديد الفلسفة، ومن الفلسفة في صيانة الشريعة؟

الإعداد القبلي

أبحث عن نشأة الفلسفة الإسلامية وتطورها وامتداداتها.